جمهورية مصر العربية	١٠ شوال١٤٤٠هـ□
وزارة الأوقاف	١٤ يونيو ٢٠١٩م□

(١)

شهادة النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه وبيان فضلهم ، والدروس المستفادة من ذلك.

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعـــد :

فإن الله (عز وجل) كما يصطفي لرسالاته من يشاء من عباده – وفق ما فطرهم عليه من طهارة القلب ، وصفاء الذهن ، وكريم الطباع ، وعظيم الأخلاق – فإنه (سبحانه وتعالى) يختار لأنبيائه من يصلح لصحبتهم ، والدفاع عن رسالتهم ، والقيام بأداء هذه الرسالة بأمانة وصدق وتضحية من بعدهم ؛ حيث يقول الحق سبحانه : {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} ؛ لذا كان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) خير هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، ولا عجب في ذلك ، فهم قوم اختارهم الله (عز وجل) لصحبة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وإقامة دينه ، وتبليغه للعالمين .

إن الحديث عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديث عن الصفوة من البشر بعد الأنبياء والمرسلين ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أهل الاصطفاء في قول الله (عز وجل): {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}، هم أصحاب رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) ، قال : "إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ، يُدافعونَ عَن دِينِهِ ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ" . (مسند أحمد)

ولا شك أن المتدبر لكتاب الله (عز وجل) يدرك رفعة مكانة أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وعلو منزلتهم ، وعظيم فضلهم ، فهم الذين رضي الله (عز وجل) عنهم ، وشهد لهم بصدق الإيمان ، حيث يقول الحق سبحانه: {لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}، قال أهل التفسير : {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ}أي ، من الصبر والصدق والوفاء والسمع والطاعة ، وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذي هداهم الله إليه .

ولقد زكى الحق سبحانه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مواطن عديدة من كتابه الجليل ؛ منها : قوله سبحانه : {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}، وقوله جل شأنه في شأن المهاجرين والأنصار : {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

وكما جاءت آيات الذكر الحكيم لتخلد ذكر أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) بأبلغ الثناء وأعطره ، وأعظم التقدير وأجمله، فقد جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة

شاهدة على مكانتهم عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وموضحة تضحياتهم ، ومظهرة صدق عزائمهم ، فهم الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، وقدموا محبته على محبة أنفسهم ، وأهليهم ، والناس أجمعين ، فمنحهم النبي (صلى الله عليه وسلم) أرفع الأوسمة ، وتوجهم بأعلى المناقب ؛ حيث شهد لهم في الكثير من المواقف الجليلة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) (متفق عليه) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) (صحيح مسلم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَنِي ، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ، وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي ، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي) (مصنف بن أبي شيبة) ، وما فُضِّل بعدهم ممن جاء في هذا الحديث إلا بشرف صحبتهم لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ولقد اختص النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض الصحابة بالثناء عليهم لبيان سبقهم وتقدمهم في الفضل ، لا سيما السابقون الأولون منهم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَقْوَاهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَمِينُ أُمَّتِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، وَأَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدٌ) ، ويوم أن صعد النبي (صلى الله عليه وسلم) أُحُدًا، ومعه أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ (رضي الله عنهم) ، فَرَجَفَ الجبل بِهِمْ فرحًا بالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه ، فَقَالَ له النبي (صلى الله عليه وسلم): (اثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ ، وَصِدِّيقٌ ، وَشَهِيدَانِ) (صحيح البخاري)، وقال (صلى

الله عليه وسلم) موضِّحًا مكانة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) : (إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى يَرَاهُم مَنْ أَسْفَلُ مِنْهُمْ كَمَا يُرَى الْكَوْكَبُ الطَّالِعُ فِي الْأُفُقِ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمَا وَأَنْعمَا) . (سنن ابن ماجه)

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) حريصًا على إظهار مكانة أصحابه ، وبيان شرفهم وقدرهم ؛ تشجيعًا لهم ، واستنهاضًا للهمم حتى يكونوا قدوة لغيرهم من أبناء الأمة ، فيقول (صلى الله عليه وسلم) عن أبي بكر (رضي الله عنه) : (لَا تُؤْذُونِي فِي صَاحِبِي، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ ، وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) سَمَّاهُ صَاحِبًا لَاتَّخَذْتُهُ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ اللهِ ..) (البخاري وغيره ، واللفظ للطبراني) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) عن عمر (رضي الله عنه) : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ) (مسند أحمد) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم عن عثمان (رضي الله عنه) : (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) (صحيح مسلم) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) عن علي (رضي الله عنه) : (أنتَ مِنِّي وَأَنَا مِنك) . (متفق عليه)

إن المتتبع لأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أصحابه ، وشهادته لهم ، يدرك أنه (صلى الله عليه وسلم) قد ضرب أروع الأمثلة في الوفاء والمحبة الصادقة، وحسن المعاملة لأصحابه ، بصورة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يشعر بآلامهم ، ويشفق عليهم ، ويتفقد غائبهم ، ويزور مريضهم ، ويشهد جنائزهم، ويجيب دعوتهم ، ويشاورهم في الأمر ، ويخفض جناحه لهم ، ويقضي عنهم دينهم ، ويدعوا لهم ولأبنائهم ، فعنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) ، قالت : دخل رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ (رضي الله عنه) وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، فَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَسِيلُ عَلَى وَجْنَتَيْهِ (مصنف عبد الرزاق) ، وتفقد

النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه يومًا بعد انتهاء إحدى المواقع التي كانت بينهم وبين المشركين ، فقال لهم: (هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟) ، قَالُوا : نَعَمْ ، فُلَانًا ، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا ، ثُمَّ قَالَ : (هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟) ، قَالُوا : نَعَمْ ، فُلَانًا ، وَفُلَانًا ، وَفُلَانًا ، ثُمَّ قَالَ : (هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟) ، قَالُوا: لَا، قَالَ : (لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا ، فَاطْلُبُوهُ) ، فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى ، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ، ثُمَّ قَتَلُوهُ ، فَأَتَى النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : (قَتَلَ سَبْعَةً ، ثُمَّ قَتَلُوهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ) ، ثم وَضَعَهُ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى سَاعِدَيْهِ ، لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، حتى وُضِعَ فِي قَبْرِهِ (صحيح مسلم)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا ، أَوْ ضَيَاعًا ، فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ).(صحيح مسلم)

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

إخوة الإسلام :

لقد أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة كلها بأصحابه جميعا ، وحذر من الإساءة إليهم ، أو الانتقاص من حقهم ، وبيّن أن محبتهم دليل محبته (صلى الله عليه وسلم) ، وأن بغضهم دليل بغضه (صلى الله عليه وسلم) ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ) (أحمد والترمذي) ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) : (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ) (البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ بِي أَصْحَابًا ، فَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وُزَرَاءَ وَأَنْصَارًا وَأَصْهَارًا ، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ) . (المستدرك على الصحيحين) .

إن الناظر في سيرة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدرك أنهم ما بلغوا هذه الدرجة العالية ، والمكانة السامية إلا بإخلاصهم لله (عز وجل) ، وصدق محبتهم لرسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وجهادهم لأنفسهم ، وانتصارهم للحق والدفاع عنه ، وإيثارهم للمصلحة العامة ، وتقديمها على المصلحة الخاصة ، وحسن أخلاقهم وجميل معاملتهم مع الناس جميعا ، فاستحقوا ثناء الله (عز وجل) عليهم ، ومدحه لهم، وكانوا أهلا لمحبة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومحلا لثقته ، ولله در القائل :

هم صفوةُ الأقوامِ فاعرف قدرهم وعلى هداهم يا موفق فاهتدِ

لقد كان لجيل الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) قصب السبق في تغيير وجه الحياة ، وتبديد ظلمات الباطل والجور والظلم الذي امتلأت به أرجاء المعمورة قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فحولوها بنور الوحي الإلهي إلى الحق والعدل والمساواة ؛ لذا كانت محبة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سنة ، والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ، يقول الحق سبحانه بعدما ذكر وصف المهاجرين والأنصار : {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ، قال الإمام الرازي (رحمه الله) : إنَّ مِنْ شأن مَنْ جاء مِنْ بعد المهاجرين والأنصار أن يذكرهم بالدعاء والرحمة.

على أننا نؤكد أن الحديث عن مكانة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبيان فضلهم يعزز دور القدوة الحسنة التي لا غنى لأبنائنا وشبابنا عنها ، فإن للتربية بالقدوة أثر بالغ في ترسيخ منظومة القيم النبيلة والأخلاق العالية والسلوكيات الإيجابيّة في المجتمع بصفة عامة ، ولدى النشء والشباب بصفة خاصة ، وعلى شبابنا أن يتمسك بالفكر الوسطي المعتدل النابع من فهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصحيح للإسلام ، وأن تكون له شخصيته المتميزة ، حتى يكون مؤهلا لحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة ، وقيادة سفينة النجاة ، لإنقاذ الأمة من حيرتها وتخبطها ، والوصول بها إلى طريق الرشاد والأمن والسعادة والاستقرار والتقدم .

فيا ليتنا ندرك قدر أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ومكانتهم ، ونقتدي بأخلاقهم ، ونقتفي أثرهم ، ونستلهم من سيرتهم روح التضحية ، والبذل ، والعطاء ، والفداء بالنفس والمال والولد ، ونسير على دربهم من أجل إعمار هذا الكون ، وصناعة الحضارة ، ونفع البلاد والعباد بما يظهر حقيقة الإسلام وسماحته .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم